أثر علماء بغداد في بلاد الشام ومصر من خلال كتاب الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة لابن حجر(ت 852هـ/ 1449م)

أ.م. د. أحمد عليوي صاحب

كلية الامام الكاظم(ع) للعلوم الاسلامية / العراق

E-mail : ahmedaaliwi@alkadhum-col.edu.iq

الكلمات المفتاحية: (اثر، علماء، ابن حجر، الدرر)

ملخص البحث:

نحاول في هذه الدراسة أن نسلط الضوء على أثر علماء بغداد في بلاد الشام مصر، وتهدف الى إبراز مدى مساهمة هؤلاء العلماء من ناحية الادارية والدينية فضلا عن نشر العلوم والمعارف، فمنهم من مكث مدة ، ومنهم من بقى هنالك الى حين وفاته، ومن هؤلاء من نافس العلماء في تلك الامصار واثبتوا جدارتهم في ذلك، ونالوا مكانة مرموقة عند الحكام، ونجد ابن حجر في كتابه "الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة"، يعطي رأيه بتلك الشخصيات، لكي نوضح للقارئ ان مؤلفاته لم تقتصر على الجانب الوصفي بل شملت الجانب النقدي سواء كان ايجابياً ام سلبياً، وقد قسم البحث الى عدة محاور، الاول نبذه عن سيرة ابن حجر العلمية، والثاني الألفاظ النقدية، اما الثالث فتطرق الى الجانب العلمي والفكري، وبحثنا في الرابع الجانب القضائي والاداري، واخيرا تناولنا الجانب الديني.

Contributions of Baghdad scholars to the cities in which they settled

Book of the pearls lurking in the notables of the eighth hundred by Ibn Hajar (d. 852 AH / 1449 AD)

Asst.Prof.Dr .Ahmed Aliwi Saheb

Imam AL-Kadhum College

Key words:(Effect, Scientists, Ibn Hajar, pearls)

Abstract:

In this research, we try to shed light on the most important Baghdadi personalities who settled in the cities, and this study aims to highlight the extent of the contribution of these scholars to the cities and regions in which they settled in terms of scientific, administrative and religious terms, some of them stayed for a period, and some of them remained there until his death, Among them are those who competed with scholars in those regions and proved their worth in that, and they attained a prominent position among the rulers, and we find Ibn Hajar in his book "The pearls lurking in the notables of the Eight Hundred", giving his opinion with these figures, in order to make it clear to the reader that his writings were not limited to the descriptive aspect but rather included Whether it is positive or negative, the research has been divided into several axes, the first is an overview of Ibn Hajar's scientific biography, the second is critical expressions, while the third deals with the scientific and intellectual aspect, and we discussed the fourth in the judicial and administrative aspect, and finally we dealt with the religious aspect.

المقدمة:

ان الدراسات التي اجريت على كتاب الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني (ت852هـ/1449م)، مصدرها القيم العلمية، فكلما كشفت لنا قيمة، او زاوية في باطن المصدر استطعنا تحديد الثقافة الشاملة التي كانت تقف خلف هذا الجيل الشامخ.

تعد الشخصيات المترجم لها على اختلاف جنسياتهم، واختلاف مشاربها العمود الرئيس الذي قامت عليه الدرر الكامنة، بيد ان الشخصية البغدادية كانت لها خصوصية اختلفت عن مسار الشخصيات المترجم لها عموما، ونجد ابن حجر في كتابه "الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة"، يعطي رايه بتلك الشخصيات، لكي نوضح للقارئ ان مؤلفاته لم تقتصر على الجانب الوصفي بل شملت المنهج النقدي سواء كان ايجابياً ام سلبياً، وقد قسم البحث الى عدة محاور، المحور الاول: نبذه عن سيرة ابن حجر العلمية، والمحور الثاني: الألفاظ النقدية الدالة على السيرة الذاتية الصحيحة للتراجم البغدادية، اما المحور الثالث: فتطرق الى الجانب العلمي والفكري، وبحثنا في المحور الرابع: الجانب القضائي والاداري، واخيرا تناولنا الجانب الديني.

اهمية الدراسة:

لاشك ان هذه الدراسة ربما قد تلبي متطلبات البحث العلمي لربط الدراسات النقدية، بالدراسات التاريخية، من حيث تصحيح الرواية التاريخية، او اعتماد الرواية الاكثر ترجيحاً من قبل المؤرخين.

اهداف الدراسة:

تكمن هدف هذه الدراسة في تحديد الاثر الكبير التي قدمتها تلك الشخصيات في خارج المجتمع البغدادي.

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي، وذلك بالرجوع الى كتاب ابن حجر بالبحث والاستقراء لما يتعلق بموضوع البحث، مع اعتماد اليات التحليل والاستنباط للخروج بشواهد نصية تعزز وجود معالم الاثر الحضاري للشخصيات البغدادية.

اولاً: سيرة ونشأة ابن حجر:

شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد، المعروف بابن حجر الكناني العسقلاني الأصل المصري المولد والمنشأ والدار والوفاة[1] ، ينسب إلى آل حجر – قوم تسكن في قابس[2]، ولد ابن حجر في الثاني عشر شعبان سنة 773هـ/1371م بمصر[3]، ونشأ بعد أن مات والده وهو طفل في شهر رجب سنة 777هـ/ 1375م، في كنف أحد أوصياء والده الزكي الخروبي، كما يقول عنه: "وقد حجّ غير مرة وجاور، وكنت رفيقه في المجاورة وأنا صغير؛ لأن أباه كان قد أوصاه عليَّ، فرجعت معه في أول سنة سبعمائة وست وثمانين"[4]، فأدخله الكتاب[5]، بعد إكمال خمس سنين[6]، وكانت لديه قدرة على حفظ القران الكريم والحديث النبوي الشريف[7]، وهذا له أثره فيما وصل إليه ابن حجر من علو شأنه ورفعة ذات قيمة علمية عالية بين أقرانه، فولاه الملك الاشرف برسباي قضاء القضاة الشافعي بالديار المصرية في 17/ محرم/ 827هـ، ولا زال بهذا المنصب إلى أن عزل نفسه سنة وفاته، وانقطع في بيته ملازماً للإشغال والتصنيف[8].

ويعد ابن حجر من أبرز أعلام القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وقد أهله هذا الأمر لما كان يتمتع به من سعة الاطلاع على مختلف العلوم والمعارف الاسلامية آنذاك، واجتمع لابن حجر من الشيوخ ما لم يجتمع لأحد من أهل عصره، فكان لكل واحد منهم اتجاه علمي أثّر في بناء شخصيته العلمية، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: البرهان التنوخي (ت800هـ/ 1397م)، أخذ عنه القراءات[9]، والزين العراقي (ت806هـ/ 1404م) أخذ عنه علوم الحديث[10]، والمجد الشيرازي (ت817هـ/ 1414م) في اللغة[11]، والعز بن جماعة (ت819هـ/ 1416م) الذي اخذ عنه علوم مختلفة[12]، وغيرهم من العلماء[13].

حصل ابن حجر على شهرة واسعة، إذ يعد واحداً من المؤلفين والمصنفين الذين عرفوا بغزارة النتاج العلمي، وبلغت مصنفاته في الحديث والتفسير والفقه، نحو مائة وخمسين مصنفاً، وكان من أشهرها كتاب "فتح

الباري بشرح البخاري"[14]، ووضع كُتباً عديدة في الحديث والفقه وعلوم والقرآن، ومن ذلك كتاب "الاتقان في فضائل القرآن"، و"لسان الميزان"[15] و"بلوغ المرام بأدلة الأحكام"، و"تهذيب التهذيب"[16]، و"شفاء الغلل في بيان العلل" و"الآيات النيرات في معرفة الخوارق والمعجزات"، و"الخصال المكفرة للذنوب"، و"الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة"[17]، و"رفع الاصر عن قضاة مصر" و"الإصابة في تمييز الصحابة"[18]. وغيرها مما يضيق المقام بذكرها.

ثانياً: الالفاظ النقدية الدالة على السيرة الذاتية الصحيحة للتراجم البغدادية.

وردت في الدرر الكامنة (107) ترجمة للشخصيات البغدادية، وتعرض لها بالنقد ولكن الملفت للنظر ان هذا النقد كان نقدا ايجابياً، باستثناء ثلاث حالات، وقد استخدم عدة عبارات لذلك الغرض ومنها: "كان حسن الاخلاق"[19]، "كان خيرا"[20]، "كان ديناً خيراً عفيفاً"[21]، "كان حريصا على تعليم الخير وانتفع به خلق كثير"[22]، "كان خيرا دينا فاضلا حسن الأخلاق"[23]، "فشغل النَّاس وانتفع به جماعة"[24]، "اعتنى بعلم الميقات ومهر فيه"[25]، "كان خيرا صالحا محبوب الصورة محباً للسماع له وجاهة"[26]، "كان خيرا فاضلا دمث الأخلاق كثير الذّكر حسن الشكل"[27]، "كان إماما فاضلا كثير النقل للفروع دينا فصيحاً صَحِيح الاعتقاد حسن الشكل متواضعاً خيرا"[28]، "كان حسن الخلق"[29]، "وكان ساكنا قدوه وقوراً وكانت كلمته ببغداد نافذة"[30]، "كان زاهدا خيرا ذا مروءة وفتوة وتواضع ومحاسن كثيرة"[31]، "كان عزيز النَّفس شهماً عفيفاً" [32]، "كان ذا سمت حسن وخلق طاهر ونفس عفيفة"[33].

واما الحالات الثلاثة التي وجه لهم نقداً سلبياً، هم: احمد بن الحسن(ت 753هـ) قائلاً: "كان كثير الملاحاة شكس الاخلاق يقبل الصدقة"[34]، وفي ترجمة حسن بن محمد الغوري الأَصل الحنفِي "فسار سيرة غير مرضية واشتهر بالبذاءة بلسانه"[35]، محمد بن قيصر بن عبد الله البغدادي الأَصل المارديني(ت 721هـ): "وكان كثير الهجاء سيئ السيرة"[36].

ثالثاً: الأثر العلمي والفكري .

ومن الشخصيات البغدادية التي اصبح لها تأثير على الساحة العلمية، من خلال الشواهد التي تدل على اسهاماتهم وحضورهم، مثل المدارس والمؤلفات، ومن العلماء الفقيه والمحدث عبد الرحمن بن احمد بن رجب البغدادي الدمشقي (ت 795هـ/ 1392م)، الذي صنف عدة تصانيف منها: شرح الترمذي، ذيل الطبقات للحنابلة، اللطاف في وظائف الايام، قطعة من البخاري[37]. وهذا ما نجده عند اغلب المؤرخين[38].

اما النقد الموجه من المؤرخين لهذه الشخصية البغدادي، فضلا عن ذكرهم للموقف الصحيح والشجاع في تصديه لمقالات ابن تيمية: "مهر في فنون الحديث أسماء ورجالاً وعللاً وطرقاً واطلاعاً على معانيه، صنف شرح الترمذي فأجاد فيه في نحو عشرة أسفار وشرح قطعة كبيرة من البخاري وشرح الأربعين للنووي في مجلد،

وعمل وظائف الأيام سماه " اللطائف"، وعمل طبقات الحنابلة ذيلاً على طبقات أبي يعلى، وكان صاحب عبادة وتهجد، ونقم عليه إفتاؤه بمقالات ابن تيمية[39].

ويصفه احد المؤرخين بعبارات جميلة تدل على علو مكانته بين المجتمع ان ذاك قائلاً: "كان –رحمه الله تعالى– إماما ورعا زاهدا مالت القلوب بالمحبة إليه وأجمعت الفرق عليه كانت مجالس تذكيره الناس عامة نافعة وللقلوب صادعة "[40].

وهذا ما نجده في ترجمة الشيخ تقي الدين البغدادي عبد الرحمن بن أَحمد بن علي الواسطي الأَصل(ت 781هـ/ 1376م) نزيل القاهرة، تصدر للإقراء مُدَّة وشرح الشاطبية، ونظم كتاب غاية الإحسان لشيخه أبي حيان في النَّحو وعرضها عليه فأعجبه وقرظها، وكانت وفاته فِي صفر سنة 781هـ حدث عنه القاضي شمس الدين البسطامي قاضي المالكية فِي عصرنا وجماعة وأجازَ للبرهان الحلبي سبط ابن العجمي[41].

ونلحظ ذلك في ترجمة الحسين بن سالار بن محمود الغزنوي الأَصل البغدادي أَبو عبد الله المشرقي: "قدم دمشق فَسمع من ابن الشّحنة والحافظ المزي وتفقه ومهر ودرس وأفتى واشتهر وكان فَقيها شافعياً مشهورا ببلاده حدث عنهُ أَبو حامد بن ظهيرة بالإجازة كتب إِليهم بها سنة 773هـ"[42].

ومن الشخصيات الادبية التي استقرت في دمشق وكان لها الاثر الواضح في مجال الشعر، فلاح بن غنام بن قدامة العبادي البغدادي الدِّمشقي الأديب أَبو الخير(ت 742هـ/ 1341م)[43] ولد ببغداد سنة 675هـ، سكن دمشق، فيورد ابن حجر قائلاً: "قال البرزالي فيه فضيلة وله شعر ومعرفة بالوقت وكان أحد الفقهاء بالبادرائية، وكتب عنه البرزالي من شعره مات في رجب سنة 742هـ"[44].

وفي ترجمة الاديب علي بن إبراهيم بن علي بن يعقوب بن عبد المجيد بن وفاء علاء الدين الواسطي البغدادي الدمشقي المعروف بابن الفردة، ولد سنة 697هـ، تعانى الآداب والوعظ وتغير في آخر عمره بالسوداء وهو مع ذلك ينظم الشعر العذب قال الصفدي رأَيته في تلك الحال يجاري ابن فضل الله بَيْتا بَيْتا ويسبق إِلى نظم البيت أَحيانًا وكان يدعي أَنه سرق لهُ من بغداد من الكتب بقدر ألفي مجلدة وأَن جماعة من التجار باعوها بدمشق فلم يجد من يشهد لهُ ولا من ينصره فازداد تألمه لذلك وتمكن اختلاطه وكان لا يقبل من أحد شيئا بل من أعطاهُ شيئا لما يرى من سوء حاله يقول لهُ أَنت ممن سرق كتبي فتريد تبرطلني قال وكنت أعرض عليه الدراهم وألح عليه فلا يزيد على أَخذ درهم واحد ونظم في تلك الحال إِلى نائب الشام قصيدة يشكو فيها حاله أَولها.

(يَا نَائِب السُّلْطَان لَا تَكُ غافلا ... عَن قتل قوم للظواهر زوقوا)

(مَا هم تجار بل لصوص كلهم ... فَأمر بهم أَن يقتلُوا أَو يشنقوا)

(وأراك لَا تجدي إِلَيْك شكاية ... إِلَّا كَأَنَّك حَائِط لَا ينْطق)

(لَا تعف عَن قوم سعوا بفسادهم ... فِي الأَرض بغيا مِنْهُم وتخرقوا)

(واكشف ظلامة من شكا من خصمه ... فالحق حق واضح هو مشرق)[45].

ومن الشخصيات الاخرى التي كانت لها اثر واضح في دمشق، وهذا ما نجده في ترجمة أَحمد بن رجب بن الحسن السلامي(ت775هـ/ 1373م)[46] "وخرج لنفسه معجماً مفيدا رأَيته وجلس للإقراء بدمشق وانتفع الناس به وكان دينا خيرا عفيفاً"[47]. وفي ترجمة احمد بن علي بن الحسن الحسيني(ت 765هـ/ 1363م) "قدم دمشق فشغل الناس وانتفع به جماعة وخلف ثروة جيدة "[48]. وفي ترجمة محمد بن عبد المحسن الازجي(ت 728هـ/ 1327م)[49]، "دخل دمشق سنة 698هـ ، ووعظ بها وكان حسن المحاضرة طيب الأخلاق وأخذ عنه جمع جم وانتهى إِليه علو الإِسناد ببغداد... وولي مشيخة الحَدِيث"[50].

ومن الشخصيات من برع في علمه وفاق اقرانه، واخذ عنه المؤرخين والعلماء في تلك الفترة، فنجد عيسى بن داود البغدادي الحنفي المنطقي(ت705هـ/ 1305م)[51]، الذي كان له اثر واضح في القاهرة، وقبلها بغداد فقد درس على يد البدر الطويل، والفخر بن البديع، فيورد ابن حجر ما نصه: "برع في المنطق وتخرج وفاق الاقران، وأملى على الموجز للخونجي شرحا وعلى الإرشاد كذلك وارتحل إِلى القاهرة فأَقام بالمدرسة الظاهريَّة بين القصرين وأخذ عنه السبكي، وابن الاكفاني وغيرهما، وكان سليم الباطن متواضعا مقتصدا سَمحا لطيف الشكل "[52].

اما في الشام فقد برز علماء ساهموا في الجانب العلمي من خلال مؤلفاتهم، وتلامذتهم، ففي ترجمة عبد العزيز بن عبد القادر بن أبي الكرم البغدادي(ت748هـ/ 1347م)[53]، والذي درس على يد علماء الشام منهم: الفخر علي، وعبد الرحمن ابن الزين احمد بن عبد الملك، واحمد ابن شيبان، وحي الدين الكحال، وزينب بنت مكي، فضلاً عن تصانيفه فقد صنف كتاب "نتائج الشيب من مدح وعيب"، وله رسالة في "الرَّد على من أنكر الكيميا"، وكذلك اصبح له تلاميذ، ولكن لم يصرح ابن حجر بذلك قائلاً: "سمع منه جماعة من شيوخنا منهم..."[54].

رابعاً: الأثر القضائي والاداري.

يعد القضاء من المناصب الهامة في الدولة الاسلامية على مر العصور، ولا شك ان له دوراً مهما في الحياة الاجتماعية، لما له من اتصال مباشر بجمهور الناس، وكذلك من خلال الاعمال التي تتعلق به كالتوثيق والشهادة، فبعد التنقيب والبحث في كتاب ابن حجر الدرر الكامنة احصينا عدد من القضاة منهم:

فتولى عدد من البغداديين عدة مناصب منها رتبة القضاء ونظر الخزانة، ففي ترجمة القاضي احمد بن عبد الرحمن بن محمد المالكي البغدادي (ت781هـ/ 1379م)، الذي تولى القضاء في دمياط ودمشق وبغداد، وكذلك تولى نظر الخزانة في القاهرة، ونجد ابن حجر يصفه بالسيرة الحسنة قائلاً: "كان خيراً ديناً فاضلاً حسن الاخلاق... وشكر في ولايته بدمشق"[55].

ونجد عند اغلب المؤرخين نص مفاده ان المترجم له بغدادي الاصل، تولى قضاء المالكية في دمشق، ومن ثم استقر في القاهرة في فترة دولة يلبغا (ت768هـ/ 1366م)[56]، الذي عظمه وولاة عدة مناصب فيها[57]، ويصفه احد المؤرخين بالفقيه الاصولي، اضافة الى منصبه كقاضي، ويذكر احدى مؤلفاته وهو "شرح على مختصري ابن الحاجب"[58].

وبهذا نجد ان لهذه الشخصية الاثر العلمية والادارية ليس فقط في القاهرة؛ وانما في دمشق ايضا، وذلك لتولية عدة مناصب ادارية منها نظر الخزانة، فضلا عن كونه فقيهاً وله عدة مؤلفات، ومن هذا البيان يتضح لنا نبوغ هذا القاضي بالأمور الشرعية اولاً، ونشاط الجانب المعرفي لديه ثانياً، والذي يعد من أهم مقومات القاضي.

خامساً: الأثر الديني.

لقد كان للفقهاء دوراً رياديا في اتخاذ القرارات في كثير من الامور، فكان من الضروري التقرب اليهم، فضلا عن ذلك ان بعض الفقهاء والعلماء في عصر سلاطين المماليك قد عملوا في التجارة، مما ادى الى رفعت المكانة الاجتماعية للتجار البغداديين،

وفي نفس الوقت ومن المعروف أن مصر قامت بنشاط تجاري كبير بين الشرق والغرب، مما ادى الى ثراء التجار وجعلهم طبقة مترفة ومتنفذة الى حد بعيد، وقد ادرك سلاطين المماليك هذه الحقيقة، وأحسوا أن طبقة التجار دون غيرها هي المصدر الأساس الذي يمد الدولة بالمال، لاسيما في ساعات الحرج والشدة، لذلك عمد السلاطين الى تقريب التجار منهم، واصطفوا منهم ندماء وأصحاباً، وهذا أمر نادر الحصول لغير المماليك، وهكذا أصبحت لهذه الفئة مع مرور الوقت مكانة متميزة في عصر سلاطين المماليك، بل أن بعضهم تقلد مراكز مهمة في الدولة، فاذا ارادوا مدح شخص قالوا عنه انه" من بيت تجارة ووجاهة " [59].

ففي ترجمة التاجر محمد بن احمد بن ابي نصر(ت 711هـ/ 1311م)[60]، فيورد ابن حجر: "كان تاجرًا ثم ترك وتزهد ولقي المشايِخ... كان ذا صدق وتأله وأَمانة جاور مدَّة ولقي المشايِخ وله مواعظ نافعة، وكان ممن يقول الحق وإن كان مرا وفيه صفات حميدة"[61]. وبهذا نجد ان اغلب الاحكام التي يصدرها ابن حجر؛ جاءت ايجابية بحق التجار البغداديين، وربما عاد ذلك الى أن اغلب هؤلاء كانت لديهم ثقافة دينية، حيث درسوا القرآن والحديث والفقه؛ فأثر ذلك في تعاملهم مع الناس.

وعند مقارنة ما جاء عند ابن حجر نجد ان اغلب المصادر التاريخية قد اتفقت على اثر هذه الاسهامات العلمية في الامصار التي استقرت بها، منها مصر، والشام، ودمشق، وغيرها من الامصار، فقد نقل لنا الذهبي الذي يعد من المعاصرين له، قائلاً: "كان شيخنا شمس الدِّين حسن الجُملة، عديم التكلف، وافر الإخلاص، رأساً فِي متابعة السنة، فصيحاً واعِظاً حسن المشاركة، في العلم ومعاملات القلوب، دخل الروم والجزيرة، ومصر، والشام، والحجاز، وجاور عشرة أَعوام، ثم تحول إِلى دمشق، فانتفعنا بمجالستهِ وبآدابهِ"[62].

اما رأي الصفدي فيذكر: "كان من أكابر التجار كأبيه، ثم إنه تزهد، وقوى نفسه على الوجود، فتفهد، ولبس العباءة، ورفض الملاءة، واللذة برفيع الملاءة. وجاوز بمكة مده، وتصوف ولقي من المشايخ عده، وكان ذا صدق وإنابة، وخضوع وكآبه، وله مواعظ نفع بها، وجر الخير بسببها. وكان بالحق قوالا، وعلى أولي اللعب صوالا، وصفاته حميدة، وحركاته سديدة"[63]. وبهذا نجد في النص السابق، على الرغم من اليسر والثروة الطائلة التي كان عليها بعض التجار الا انهم اتصفوا بالبساطة والتواضع.

وبعض المصادر التاريخية تصف هذا الاثر من السمعة الحسنة والظهور العلمي البارز لهذه الشخصية، فضلا على قوة الشخصية بعدم مجاملة والتقرب الى السلاطين والولاة اي (اصحاب القرار السياسي):"قال الشيخ كمال الدين بن الزملكاني عنه: شيخ صالح، عارف زاهد، كثير الرغبة في العلم وأهله، والحرص على الخير، والاجتهاد فِي العبادة، تخلى عن الدنيا، وخرج عنها، ولازم العبادة، والعمل الدائم والجد، واستغرق أوقاته فِي الخير، وكان لديه فضل. وعنده مشاركات جيدة فِي علوم. ولَهُ عبارة حسنة فيما يكتبه، وطلب الفوائد الدينية. متقشف ورع، صلب فِي الدين، مجانب لمن يخشى على دينه منه، محب للصالحين وأهل الخير، منقطع عن النَّاس مهيب. يقوم الليل ويكثر الصوم، ويطيل الصلاة بخشوع وإخبات واستغراق، ويتلو القرآن العظيم، لا يرى خاليا من أفعال الخير وأعمال البر، ويتصدق في السر، وينصح الإخوان، ويسعى في مصالحهم، ويحسن القيام على عياله، ويلازم الجماعات في الجامع، ولا يغشى السلاطين ولا الولاة، ولا أهل الدنيا، إلا عند ضرورة دينية. وكان يخشن مأكله وملبسه، ويحب طريق السلف الصالح، وإذا رآه إنسان عرف الجد فِي وجهه، يقوم فيما يظهر لَهُ من الحق، ويأمر بما يمكنه من المعروف، وينهى عما يقمر على النهي عنهُ من المنكر، ولَم يزل كذلك حتى توفي"[64].

وبرز من العلماء الذين تنقلوا ما بين مصر والشام، هو عبد الرحيم بن علي بن عبد الرحيم البغدادي ويعرف بالساعاتي(ت 719هـ/ 1319م)، الذي قدم الى مصر وتفقه على يد الشمس ابن العماد، وسمع من الرشيد العطار، وابن علاق، والكمال الضرير، وعنى بالرواية، ثم قدم دمشق فسمع من ابن أبي عمر، وابن علان، وغيرهم من العلماء، فيصفه ابن حجر قائلاً: "وكان مليح الشكل حسن البشر خيرا عالما يدري القراءات وينسخ القرآن على الرسم"[65].

اما محمد بن عيسى بن حسن بن كرّ البغدادي المرواني (ت763هـ/ 1361م)[66]، "ولي مشيخة الزاوية التي بجوار المشهد الحسيني وأُخرى بالقرب من الدكة بشاطئ الخليج سمع منه شيخنا العِراقي وغيره، وأخذ علم الموسيقى عن غير واحد ففاق الأقران، وصنف فيه تصنيفاً بديعاً وصار في فنه فردا لا يلحق ونقل مذاهب القدماء وحررها وأخذ نفسه بأَن لا يمر به صوت مما ذكره ابو الفرج الأَصبهاني إِلا ويجئ به على وجهه وكان عزيز النَّفس شهماً عفيفاً ولم يتكسب بصناعة الموسيقى"[67].

ومن التجار من كان يتصف بالتسامح، فجعلوا للفقراء نصيبا من ثروتهم من باب التقوى، وهذا ما نجده في ترجمة التاجر احمد بن الحسن بن علي بن خليفة الحسيني (ت 775هـ/ 1373م)، فقد اعطى ابن حجر سيرة مختصر لهذا التاجر، واكتفى بكر عبارة: "اشتغل هناك ومهر"[68]. وبعد المقارنة مع المصادر الاخرى وجدنا فسيرا لتلك العبارة، فقد اورد ابن رافع رواية تنص على ان: "اشتغل بالمعقول ببغداد على ابن مطهر وبالأصول والطب، وقدم دمشق وشغل بالعلم وانتفع به جماعة، وخلف ثروة وأوصى بصدقَة[69]، ويصفه ابن فهد بالإمام:" مات بدمشق الإمام مجد الدين أبو العباس أحمد بن الحسن بن علي بن خليفة الحسيني التاجر"[70]. ويتضح مما سبق انه أصبحت لهذه الفئة مع مرور الوقت مكانة متميزة في المجتمع.

ومن البغداديين الذين كان لهم مكانة دينية في القاهرة، فقد صرح ابن حجر عندما يصف المحدث ابو بكر بن محمد بن قاسم السنجاري البغدادي(ت790هـ/ 1388م) قائلاً: "وكان محدثا فاضلا مسندا... وعاش ثمانين سنة حدث عنه بالسماع الشيخ محب الدين احمد بن نصر الله قاضي الحنابلة بالقاهرة"[71].

الخاتمة:

والذي يمكن تسجيله على ما جاء في تراجم كتاب الدرر الكامنة:

- ان اغلب احكام ابن حجر النقدية جاءت ايجابية بحق اولئك العلماء والشخصيات البغدادية.
- نجد ان اغلب اسهامات الشخصيات البغدادية كانت في العلوم الدينية، وعلوم الادب واللغة.
- ان الاستقرار الذي كانت تعيشه بلاد الشام ومصر قارنه مع وضع العراق في تلك الفترة دفعتهم الى التوجه لتلك البلاد.
- نجد ان بعض العلماء قد استقروا في تلك البلاد ودفنوا فيها، والبعض الاخر نهل من علمائها ثم عاد الى موطنه.
- نجد عدم تقيد علماء بغداد بتخصص معين، والسبب سمة العصر التي اتسم بها العلماء، حيث ان العالم كان يدرس اغلب العلوم التي كانت في ذلك العصر، وبهذا نجد العالم مؤرخاً، وشاعراً، ومفسراً، واديباً.

– توصلنا الى ان اغلب الفقهاء قد تمتعوا بمكانة مميزة تؤهله الى ان يتقلد مناصب الافتاء والقضاء فضلا عن التدريس وغيرها من المناصب التي كانت لها تأثير على المجتمع.

هوامش البحث:

(1) الاسنوي، طبقات الشافعية، ص108؛ ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر،ج3/ ص1؛ ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ص76؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج1/ص88؛ عز الدين، التاريخ والمنهج التاريخي، ص197.

(2) قابس: مدينة من بلاد افريقية بينها وبين طرابلس ثمانية ايام. الحموي: معجم، ج4/ ص289؛ الحميري: الروض، ص450.

(3) ابن حجر، الدرر الكامنة،ج2/ ص450؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج2/ ص21؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج2/ ص36.

(4) ابو بكر علي بن محمد بن علي التاجر الكارمي، زكي الدين الخروبي، كان اصله من رحبة الخروب بمصر، سمع منه ابن حجر، توفى اوائل المحرم سنة 787هـ. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنه، ج1/ ص538–539.

(5) المكان الذي يتم فيه تعليم الصبيان الخط. ينظر: السيوطي، لب اللباب في تحرير الانساب، ص252.

(6) ابن حجر، الدرر الكامنه، ج6/ص267.

(7) المصدر نفسه،ج6/ص267.

(8) ابن حجر، رفع الاصر عن قضاة مصر، ج1/ ص85–89؛ فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج1/ص 2–10؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج2/ ص36–40؛ المكي، لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ للذهبي، ص 326؛ فروخ، تأريخ، ج 3/ ص850–854.

(9) ابراهيم بن احمد بن عبد الواحد بن عبد المؤمن بن سعد بن علوان بن كامل التنوخي، ولد بدمشق سنة 709هـ، ينظر: ابن الجزري، شمس الدين ابي الخير محمد بن احمد، غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره برجستراسر، القاهرة(بولاق) ج1/ص52؛ ابن حجر، انباء الغمر،ج2/22–23.

(10) عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن ابي بكر بن ابراهيم، ولد في سنة 725هـ، بمنشأ المهراني بين القاهرة ومصر. ينظر: المقريزي، تقي الدين احمد بن علي(ت845هـ) السلوك ، ج3/ص821؛ السخاوي، الضوء اللامع،ج4/ص171–178.

(11) محمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم بن عمر الشيرازي مجد الدين ابو طاهر الفيروزابادي، ولد بمدينة كازرون سنة 729هـ، لقيه ابن حجر في رحلته الى اليمن واخذ عنه. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، ج1/273-275.

(12) محمد بن ابي بكر بن عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة، ولد في ينبع سنة 749هـ، لازمه ابن حجر من سنة 790هـ الى ان مات، وحصل على الاجازات له ولأولاده. ينظر: المقريزي، السلوك، ج14/ص143-144.

(13) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج2/ ص18-19؛ السيوطي، نظم العقيان، ص45.

(14) السيوطي، المصدر نفسه، ص46.

(15) ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج2/ ص24؛ السيوطي، المصدر نفسه، ص47.

(16) ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج2/ ص24. السيوطي، المصدر نفسه، ص47.

(17) ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج2/ ص25.

(18) السيوطي، نظم العقيان، ص47.

(19) الدرر الكامنة، ج1/ ص24.

(20) الدرر الكامنة، ج1/ ص33

(21) الدرر الكامنة، ج1/ص151

(22) الدرر الكامنة، ج1/ ص193.

(23) الدرر الكامنة، ج 1/ ص197.

(24) الدرر الكامنة؛ ج243-244.

(25) الدرر الكامنة، ج1/ ص307.

(26) الدرر الكامنة، ج2/ ص133.

(27) الدرر الكامنة؛ ج2/ ص159-160

(28) الدرر الكامنة، ج3/ ص71.

(29) الدرر الكامنة، ج3/ ص128-129.

(30) الدرر الكامنة، ج3/ ص217.

(31) الدرر الكامنة، ج3/ ص223-225

(32) الدرر الكامنة، ج3 / ص22

(33) الدرر الكامنة، ج 3/ ص25.

(34) الدرر الكامنة، ج1/ ص142

(35) الدرر الكامنة، ج2/ ص151-152.

(36) الدرر الكامنة، ج2 / ص24.

(37) الدرر الكامنة، ج3/ ص108-109.

(38) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج7/ ص163؛ ابن مفلح، المقصد الارشد، ج2/ ص82؛ السيوطي، ذيل طبقات الحفاظ، ج1/ ص243؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج1/ ص328.

(39) ابن حجر، انباء الغمر، ج1/ ص460-461، الادريسي، فهرست الفهارس، ج2/ ص636.

(40) ابن فهد، لحظ الالحاظ، ج1/ ص119.

(41) الدرر الكامنة، ج3/ ص111-112

(42) الدرر الكامنة، ج2/ ص168.

(43) فلاح بن غَنَّام بن قدامة العبادي البغدادي ثم الدمشقي الأديب أَبو الخير، رجل جيد فِيه فَضِيلَة وَله شعر ومعرِفَة بالوَقت وكان فَقِيها بالبادرائية مُدَّة وهو من حفاظ القرآن الْعَظِيم مولده بسوق المارستان الغربي جوَار الْحَرِيم الطاهري بِبَغْدَاد. ينظر: السلامي، الوفيات، ج1/ ص406

(44) الدرر الكامنة، ج4/ ص273.

(45) الدرر الكامنة، ج4/ ص8.

(46) أَحمد بن رجب بن الحسن بن محمد بن مسعود السلامي البغدادي، نزيل دمشق ولد سنة 644هـ، ببغداد وَنَشَأ بها وَقرأ بالروايات وأناب وسمع مشايخها وَطلب الحديث فسمع من ... ورحل إِلى دمشق ومصر

(47) الدرر الكامنة، ج1/ ص151.

(48) الدرر الكامنة، ج243-244.

(49) محمد بن عبد المحسن بن أبي الحسن بن عبد الغفار الأَزجي البغدادي الحنبَلِي عفيف الدّين أَبو عبد الله ابن الدواليبي وَابْن الْخَرَّاط ولد سنة 637هـ سمع من إِبراهيم بن الخير والأعز بن العليق وَيحيى بن قميرة وأخيه أَحمد وأحمد بن عمر الباذبيني وعجيبة وغيرهم فحفظ مختصر الخرقي واللمع فِي النحو. انظر: ابن حجر، الرر ، ج2/ ص48.

(50) الدرر الكامنة،ج 1 / ص44.

(51) عيسى بن داود البغدادي، الحنفي (سيف الدين) منطقي، ولد في حدود سنة 630 هـ، وارتحل إلى القاهرة، من تصانيفه: شرح الموجز للخونجي في المنطق. ينظر: كحالة، معجم المؤلفين، ج8/ ص24.

(52) الدرر الكامنة، ج4/ ص239.

(53) عبد العزيز بن عبد القادر بن أبي الكرم بن أبي الدّر الربعِي نجم الدّين البغدادي، ولد سنة 662 ببغداد. ابن حجر، ج2/ ص22.

(54) الدرر الكامنة، ج3/ ص173.

(55) الدرر الكامنة، ج1/ ص197.

(56) المقريزي، السلوك، ج5/ ص77؛ ابن حجر، انباء الغمر، ج1/ ص202؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج8/ ص466.

(57) الفاسي، ذيل التقييد، ج1/ ص332؛ المقريزي، السلوك، ج5/ ص77؛ ابن حجر، انباء الغمر، ج1/ ص202؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج8/ ص466.

(58) الغزي، ديوان الاسلام، ج3/ ص344.

(59) السخاوي، الضوء اللامع، ج4/ ص485.

(60) محمد بن أَحمد بن أَبي نصر الزاهد القدوة الإِمام شمس الدِّين أَبو عبد الله ابن الصدر الأَكمل أَبو العباس الدّباهِي البغدادي الحنبلِي، ولد سنة 636هـ، وصحب الشيخ يحيى الصرصري، وكان خال والدته، والشيخ عبد الله كتيلة مدة، وسافر معه،

وأجاز له التستري من ماردين، وجاور بمكة عشر سنين، ودخل الروم، والجزيرة، ومصر، والشام، ثم استوطن دمشق، وتوفي بها. ينظر: الذهبي، معجم الشيوخ، ج2/ ص169؛ الصفدي، اعيان العصر، ج4/ ص239؛ السخاوي، التحفة اللطيفة، ج2/ ص441-442.

(61) الدرر الكامنة، ج2 / ص443 ..

(62) الذهبي، معجم الشيوخ، ج2/ ص169.

(63) الصفدي، إعيان العصر، ج4/ ص239.

(64) ابن مفلح، القصد الارشد، ج2/ ص357؛ السلامي، ذيل طبقات الحنابلة، ج4/ ص384-386.

(65) الدرر الكامنة، ج3/ ص153.

(66) محمد بن عيسى بن حسن بن كرّ البغدادي ، المصري الحلبي شمس الدين المرواني، من ولد مروان بن محمد آخر خلفاء بني امية، قدم أَبوهُ من بغداد حِين غلب عليها هلاكو وَكَانَ من الْأُمَرَاء فولد لَهُ محمد بالقاهرة فِي شهر ربيع الأول سنة 681هـ . ينظر: ابن حجر، الدرر ، ج3 / ص34.

(67) الدرر الكامنه، ج3 / ص34

(68) الدرر الكامنه، ج1/ 140.

(69) ابن رافع، الوفيات،ج2/ 292.

(70) ابن فهد، لحظ الألحاظ، ج1/ ص87.

(71) الدرر الكامنة، ج1/ ص550-551.

قائمة المصادر والمرجع:

اولا: المصادر الاولية.

ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي (ت 874هـ)

1 -المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، دار الكتب المصرية (القاهرة، 1993م).

2 –النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب(مصر، د.ت).

ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني (ت 852هـ)

3 –الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية – صيدر اباد، 1972م).

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت 748هـ).

4 –معجم الشيوخ الكبير، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق،(المملكة العربية السعودية، 1988 م).

ابن رافع، تقي الدين محمد بن هجرس السلامي (المتوفى: 774هـ)

5 –الوفيات، تحقيق: صالح مهدي عباس, بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة(بيروت، 1402هـ).

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر (ت 902هـ).

6 –التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، الكتب العلميه، (بيروت، 1993م).

7 –الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة (بيروت، د.ت).

السلامي، تقي الدين محمد بن هجرس بن رافع (المتوفى: 774هـ).

8 –الوفيات ، تحقيق: صالح مهدي عباس, بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة (بيروت، 1402هـ.

السلامي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن(ت 795هـ).

9 –ذيل طبقات الحنابلة، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان(الرياض، 2005 م)

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر،(ت 911هـ).

10 – ذيل طبقات الحفاظ للذهبي، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية(د.ت).

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764هـ)

11 – أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: علي أبو زيد، نبيل أبو عشمة، محمد موعد، محمود سالم محمد، دار الفكر المعاصر،(بيروت، 1998 م).

ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي (ت 1089هـ)

12 – شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط دار ابن كثير(بيروت، 1986م).

الفاسي، محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني (ت 832هـ)

13 – ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية(بيروت، 1990م).

ابن فهد، محمد بن محمد بن محمد، أبو الفضل تقي الدين الهاشمي العلويّ الأصفوني(ت 871هـ)

14 – لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية(1998م).

ابن مفلح، برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد(ت 884هـ)

15 – المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الرشد(الرياض، 1990م).

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي (ت 845هـ)

16 – السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية(بيروت، 1997م).

الإدريسي، محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني(ت 1382هـ).

17 – فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي(بيروت، 1982م)

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (ت 1250هـ).

18 – البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة(بيروت، د.ت).

العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن حسين العيتابى (ت 855هـ)

19 – مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، (بيروت).

مغلطاي، علاء الدين مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري (ت 762هـ)

20 – إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر(2001 م).

ثانياً : المصادر الثانوية:

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي (ت 1396هـ)

21 – الأعلام – قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط 4، دار العلم للملايين، (بيروت،1979م).

عثمان، حسن

22 – منهج البحث التاريخي، دار المعارف (القاهرة،1976) .

عز الدين، محمد كمال الدين

23 – التاريخ والمنهج التاريخي لابن حجر العسقلاني، دار أقرأ(لبنان،1984م).

عمر كحالة، بن رضا بن راغب بن عبد الغني (المتوفى1408هـ)

24 – معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي(بيروت، د.ت).

مصطفى، شاكر

25 – التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين (بيروت،1979م).